أجوبة سماحته على أسئلة البرفسور شاربروت

منهج الشيخ الحبيب ضمن الدراسات الجامعية الإنجليزية







al-qatrah.net



موقع رؤى ومحاضرات الشيخ الحبيب

al-qatrah.net


alqatrah@gmail.com


@Sheikh_alHabib


syalhabib


+447999997975


+441753355355

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَلَعْنَةُ اللهِ عَلىٰ أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ

تقديم

أخذت ظاهرة الشيخ ياسر الحبيب تستقطب أساتذة الجامعات في دراساتهم الأكاديمية وتلفت أنظارهم لحركته الفكرية وتأثيره على الأمة الشيعية، وكان من هؤلاء البرفسور أوليڤر شاربروت **Oliver Scharbrodt** أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة تشستر **Chester** الإنجليزية الذي وجَّهَ إلى مكتب سماحته سنة ١٤٣٧ - ٢٠١٥ أسئلة حول فكره ومنهجه، وقد تمت الإجابة عنها من قبله شخصيا بعد ترجمتها، حيث أزال الغموض ووضع النقاط على الحروف حول منهج يعتبره البعض الأكثر جدلا وخطورة.

ولما لهذه الأسئلة والأجوبة من أهمية تجعلها بمثابة وثيقة نادرة للتاريخ فقد رأينا توثيقها ونشرها في هذا الكتيب. والله ولي التوفيق.

الأسئلة والأجوبة

س١: ما هي الخلفية العلمية للشيخ؟ ومن هم العلماء - في الماضي والحاضر - الذين كان لهم التأثير الأكبر عليه؟

ج١: كانت أولى دراساتي الدينية وأنا بعمر الثامنة على يد الشيخ عبد اللطيف الشوشتري، وفي مرحلة متقدمة حضرت دروس السيد محمد رضا الشيرازي، إلا أن تحصيلي العلمي الأساسي كان في معظمه بجهد ذاتي، لذلك فإن كان المقصود من السؤال عن العالم صاحب التأثير الأعظم عليَّ في جانب ما أتبناه من منهج؛ فالجواب هو: لا أحد، لأنه لم يؤثّر عليَّ أحدٌ في تبني هذا المنهج الذي أسسته بنفسي، وإن كان المقصود هو صاحب التأثير الأعظم عليَّ في جانب التهذيب الروحي والتعامل الأخلاقي؛ فالجواب هو: السيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله.

س٢: يتحدث الشيخ كثيراً عن «تحرير الشيعة» كما في كتابه «تحرير الإنسان الشيعي». ماذا يعني بذلك؟ وكيف يثبت اتصال منهجه بتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) والمراجع الحاليين والعلماء في العالم الشيعي؟

ج٢: أقصد بـ (تحرير الإنسان الشيعي) أن عليه التخلص مما فرضه على نفسه من قيود تمنعه من إظهار هويته الدينية بثقة ووضوح، والتعبير عن نفسه بافتخار، والدعوة إلى دينه بشجاعة، ونيل حقوقه الطبيعية في الانتقاد والتنافس الحضاري الشريف. هذه القيود التي فرضها الإنسان الشيعي على نفسه جاءت بسبب عدة أسباب، منها الجهل ونقصان الوعي، الفهم المغلوط لتعاليم الأئمة عليهم السلام، وتدخلات الأنظمة والأحزاب السياسية والتكتلات الدينية التجارية التي تتاجر بالدين لأجل تحقيق مصالحها الدنيوية.

من يقرأ منهج (تحرير الإنسان الشيعي) قراءةً دقيقةً سيجده الأقرب إلى منهج الأئمة الأطهار عليهم السلام طبقاً لما جاء عنهم في التراث، كما سيجده الأقرب إلى منهج وخطوات المرجعية الشيعية القديمة، أعني مثل مرجعية

الشيخ المفيد في القرن الرابع، إلى مثل مرجعية العلامة المجلسي في القرن العاشر، فطوال هذه القرون كان الملاحظ على المرجعية الشيعية أنها رغم تعايشها الإيجابي مع الطوائف الأخرى في النطاق الاجتماعي، إلا أنها كانت تمارس حقها في نقد معتقدات الآخرين بكل قوة وبمنتهى الثقة بالنفس، وذلك ما أبقى التشيع يتسع ويتمدد مع مرور الزمان، لأن التشيع في الواقع هو مدرسة نقدية، هو حليف النقد وعدو التلقين، وهذا ما ربّاهم عليه الأئمة عليهم السلام حين قالوا مثلاً: «خاصموهم! وبيّنوا للناس الهدى الذي أنتم عليه، وبيِّنوا لهم ضلالهم الذي هم عليه».[1]

لقد أصبح كثيرٌ من شيعة اليوم يخافون أن ينتقدوا عقائد الآخرين، وخاصة إذا كان هذا النقد موجهًا لعقائدهم في الشخصيات التاريخية المقدسة، كأبي بكر وعمر وعائشة. وما نسعى إليه هو تحرير الإنسان الشيعي من «عقدة الخوف» هذه، وأن يستمر كأسلافه في مزاولة حقه في الانتقاد، لأن هذه الشخصيات مهما عَلَتْ عند بعض الطوائف فإنها تبقى شخصيات مختلَفًا عليها تاريخيا، ليست أصلًا من أصول

(١) تصحيح الاعتقادات للمفيد ص٧١

الدين ولا فروعه ولا ضرورياته، وعليه يجب أن يكون باب نقدها وإبداء النظر فيها مفتوحا، لأن هذا النقد حق ديني وأخلاقي للجميع.

وإذا كان من حق من يعتقد بصلاح هذه الشخصيات أن يعبِّر عن احترامه لها؛ فمن حق المسلمين الشيعة التنديد بها إذا اختلف تقييمهم لها ووجدوها شخصيات ارتكبت الجرائم، ويبقى الفيصل هو للنقاش العلمي، فحكم الإسلام يتسع للجميع، ولا موجب لأن يجبر أحدٌ أحدًا على الأخذ بتقييمه الشخصي لتلك الشخصيات الغابرة، كما لا داعي لتكميم الأفواه ومصادرة حريات الناس في التعبير أو تهديدهم بالقتل والسجن ونحو ذلك مما ولَّى زمنه.

إن إعادة قراءة التاريخ وإعادة تقييم شخصياته أمر محبذ؛ فيه صلاح هذه الأمة وتصحيح اعوجاجها، أما غلق هذا الباب بحجة عدم إثارة الحساسيات الطائفية فهو الذي يزيد ضراوتها ويترتّب عليه ضياع هذه الأمة أكثر مما هي ضائعة الآن، بالإضافة إلى أنه يبقي المآسي والويلات التي تعيشها البشرية من الإرهاب، لأن الإرهاب «الإسلامي» الجاري

اليوم هو في الواقع القائم على منهج أبي بكر وعمر وعائشة. لذا فموقف الرافضة هو الإصرار على إبقاء باب النقد مفتوحا على مصراعيه، وذلك كفيل مع مرور الوقت بنزع فتيل التوتر لأن الجميع سيعتاد على اللغة النقدية للشخصيات، وسيدرك عاجلا أم آجلا أن الإسلام أكبر من أن يتوقف أمره على مثل هذه الشخصيات، صعدت أم نزلت.

أما عن مدى ارتباط منهجنا بتعاليم المراجع اليوم، فإننا رغم أن اهتمامنا بالدرجة الأولى منصب على إعادة إحياء تعاليم المراجع القدماء؛ إلا أننا بحمد الله وجدنا من المراجع المعاصرين مَن أيَّد منهجنا وتوافق معه، إما في خطوطه العريضة كآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي؛ وإما في بعض تفاصيله كآية الله العظمى السيد صادق الروحاني وآية الله العظمى الشيخ بشير النجفي.[١] إلا أننا لا ندعي

(١) إشارة سماحته للشيخ بشير النجفي كانت قبل سحب الاعتراف به كأحد المراجع العدول، لذا اقتضى التنويه. ويجدر ذكر أن هذه الإجابات كانت أيضا قبل تفجير آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني تصريحاته الشهيرة التي تم اعتبارها مؤشرا للتناسق مع لغة وأدبيات المنهج الرافضي، فلربما ذكره الشيخ الحبيب أيضا لو كانت الإجابات بعد إطلاق هذه التصريحات. ولا ندري لماذا غفل سماحته هنا عن الإشارة للمرجع آية الله العظمى السيد محمد علي الطباطبائي الذي كان أيضا من أشد المؤيدين للمنهج الرافضي والداعمين للشيخ شخصيا.

التطابق التام بين منهجنا وبين منهج هؤلاء المراجع، لوضوح أننا مستقلون في اجتهادنا وآرائنا.

س٣: يشير الشيخ إلى الجماعات الشيعية الأخرى بـ «البترية». لماذا اختار هذا المصطلح؟ ومن أين جاء في التراث الشيعي؟ وماذا يقصد به؟

ج٣: «البترية» طائفة انشقت عن التشيع في عهد الإمام الباقر عليه السلام عندما خلطت بين ولاية الإمام علي عليه السلام وولاية المنافقيْن الكبيريْن أبي بكر وعمر؛ بدعوى أن الإمامة وإن كانت منصوصة على الإمام علي عليه السلام إلا أن انتزاع أبي بكر وعمر لها من الإمام كان عن خطأ اجتهادي يمكن أن يكون مغفورًا، وأن اللازم السكوت عن إثارة هذه القضية وعدم التنديد بأبي بكر وعمر، بل على العكس؛ يجب احترامهما والدعاء لهما بالرضوان.

نحن اليوم نطلق اسم «البترية» على كل من يشابه تلك الطائفة في الاعتقاد أو الرؤية أو الموقف أو السلوك، كأن يكون ممن يدعو إلى احترام أبي بكر وعمر وعائشة أو السكوت عنهم، أو أن يكون ممن يدعو لهما بالرضوان أو

يدافع عنهما، أو يبرّر جرائمهما أو يهوِّن منها. فمن نجد فيه هذه العلامات نقول عنه أنه «بتري».

ولمزيد من التوضيح علينا أن نلاحظ أنه بعد استشهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله انقسم المسلمون إلى طائفتين:

الأولى؛ طائفة حكومية، انحازت إلى الحكام الجدد، أبو بكر وعمر وعثمان ومَنْ تلاهم، حيث اعترفت هذه الطائفة بهؤلاء كخلفاء دينيين للنبي صلى الله عليه وآله وقبلت أخذ التعاليم الدينية منهم رغم كونهم بالأساس رجالا سياسيين منافقين. ويُطلق على هذه الطائفة اليوم تسمية «السنة»، وتمثل الأكثرية.

الأخرى؛ طائفة معارضة، انحازت إلى الأسرة المقدسة للنبي صلى الله عليه وآله واعتبرت أن الخلافة منحصرة بهم بتعيين من النبي نفسه صلى الله عليه وآله؛ حيث حدَّدَ اثني عشر قائدا دينيا منهم خلفاء له، أولهم الإمام علي وآخرهم الإمام المهدي صلوات الله عليهم، وهؤلاء فقط يُقبل أخذ

التعاليم الدينية منهم. ويُطلق على هذه الطائفة اليوم تسمية «الشيعة»، وتمثل الأقلية.

كنتيجة لأي صراع بين السلطة والمعارضة في تلك القرون؛ فقد ذهب الخلفاء الشرعيون من الأسرة المقدسة للنبي صلى الله عليه وآله ضحايا حيث قُتلوا جميعا باستثناء الثاني عشر منهم الذي يعتقد الشيعة أنه حي غائب يحميه الله.

رافق ذلك حملات من الإبادة والاضطهاد مارستها الحكومات المتعاقبة حتى اليوم بحق الأقلية الشيعية بهدف القضاء عليها كمعارضة دينية تمثل تهديدا لشرعية الأنظمة الحاكمة وتزعزع الثقة في الصيغة الدينية القانونية لها.

أدت حملات الإبادة والاضطهاد هذه إلى نشوء طائفتين داخل الشيعة أنفسهم:

الأولى؛ طائفة تخلَّت عن رفض الحكام الجدد بعد النبي صلى الله عليه وآله وعن مقاومة الاعتقاد بصلاحهم رغم احتفاظها بعقيدة أن الخلافة منحصرة بالأسرة المقدسة

للنبي صلى الله عليه وآله، فحاولت هذه الطائفة الاقتراب من اعتقاد ما يسمى بـ «السنة» بدعوى أن الحكام الجدد ومعاونيهم كانوا بنحو أو بآخر أناسًا صالحين، وما أخطأوا فيه كان من قبيل الأخطاء المغفورة. ويُطلق على هذه الطائفة اسم «البترية»، وينتمي إليها النظام الإيراني الحالي.

الأخرى؛ طائفة بقيت محتفظةً برفضها المطلق والمبدئي للحكام الجدد ومعاونيهم بعد النبي صلى الله عليه وآله، وبقيت مصرّةً على مزاولة مقاومة الاعتقاد بصلاحهم بالتشديد على أنهم كانوا منافقين؛ طغاةً ومجرمين، انقلبوا على الشرعية الإسلامية وصادروها بالقوة. وأن ما فعلوه لم يكن مجرد أخطاء مغفورة بل كان مخططا تآمريًّا للقضاء على الإسلام من الداخل بتحريف مساره إلى مسار الإرهاب والشر والدمار. ويُطلق على هذه الطائفة اسم «الرافضة»، ونحن ننتمي إليها.

ومع أن الأئمة عليهم السلام قد واجهوا «البترية» في زمانهم وذمّوهم وحكموا بضلالهم إلى أن انقرضوا تقريبًا؛ إلا أن الأئمة أنفسهم قد تنبأوا بأن «البترية» سيظهرون من

جديد ويُحدِثون الفساد إلى حد أنهم سيحاربون الإمام المهدي عليه السلام بستة عشر ألف مسلح منهم في الكوفة وهم يقولون له: «يابن فاطمة! ارجع لا حاجة لنا فيك»![١]

(١) رواه الطبري الإمامي في دلائل الإمامة ص٤٥٥ عن الإمام الباقر صلوات الله عليه.

س٤: كيف يجب أن يرد الشيعة على تصاعد الآراء المعادية للشيعة في الشرق الأوسط وفي أنحاء العالم؟ هل الشيخ يراها ظاهرة جديدة أم هو شيء متجذر في التاريخ؟

ج٤: في نظري أن على الشيعة أن لا يفزعوا من تصاعد موجة العداء لهم في الشرق الأوسط والعالم، فالتجارب التاريخية أثبتت أنه رغم كل حملات الإبادة التي مورست ضد الشيعة إلا أنهم بقوا أقوياء، بل كانت تلك الحملات تزيدهم قوة وانتشارا، لأنها كانت تُكسبهم تعاطفًا جماهيريًّا يدفع كثيرًا من الناس إلى الاطلاع على حقيقة ما يؤمن به الشيعة، فيتأثرون ويتشيَّعون. كما أن هذه الحملات تدفع الشيعة أنفسهم إلى فتح آفاق جديدة وابتكار وسائل حديثة تساعد على تثبيت أقدامهم وانتشارهم.

اليوم مع كل هذه الحرب المفروضة على الشيعة والمذابح المتوالية لهم في سورية، العراق، اليمن، البحرين، المنطقة الشرقية، باكستان وأفغانستان، ومع كل هذا الاضطهاد الذي يعانون منه بسبب تصاعد موجة العداء الطائفي لهم؛ نرى أن عصرنا الراهن يكاد يغدو «العصر الذهبي للشيعة»!

فمعدلات أعداد المتحولين من أبناء الطوائف الأخرى إلى التشيع بلغت معدلات خيالية غير مسبوقة، نحن فقط تشيَّع بسببنا ما لا يحصى كثرة، فكيف بمن تشيع بسبب الآخرين أيضا؟

إن حالة العداء للشيعة ليست جديدة، بل كانت مستمرة منذ أربعة عشر قرنًا، إلا أنها كانت تتصاعد أحيانا وتخفض أحيانا أخرى. بدأت منذ حكم الطاغية أبي بكر حين أقدم على ارتكاب مذابح في حق الشيعة الذين لم يعترفوا بحكمه ورفضوا دفع الزكاة له، كما ذكره المؤرخ أحمد بن أعثم الكوفي.[١] واستمرت هذه المذابح حتى يومنا الحالي. والذي يلفت الانتباه هو أن الشيعة في العصور الماضية حين كانوا يتعرضون لتلك المذابح؛ ما كانوا يُصابون بالفزع أو الهلع، بل كانوا يستمرون في أداء رسالتهم العظيمة بصمود وشجاعة، بما في ذلك تنديدهم برموز النفاق كأبي بكر وعمر وعائشة.

كمثال على ذلك؛ لقد عاش الشيخ المفيد في بغداد من سنة ٣٣٨ إلى سنة ٤١٣ هجرية، ولو رجعنا إلى مصادر

(١) في كتاب الفتوح ج ١ ص٤٨

التاريخ (ككتاب كالبداية والنهاية لابن كثير، تاريخ الإسلام للذهبي، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، الكامل في التاريخ لابن الأثير، المنتظم لابن الجوزي وغيرها) لوجدنا أنه في هذه الفترة الزمنية وقعت مذابح عديدة للشيعة في بغداد، منها:

- مذبحة سنة ٣٤٩هـ خلفت قتلى وجرحى وتعطلت فيها الصلوات في الجوامع.
- سنة ٣٥٣هـ في يوم عاشوراء وأدّت إلى جرح جماعة من الرافضة ونهب ممتلكاتهم.
- سنة ٣٥٤ في يوم عاشوراء أيضا وقع هجوم من المخالفين على جامع براثا الشيعي الذي يصفه ابن كثير بـ (عش الروافض) فقتلوا من كان فيه.
- سنة ٣٥٥هـ اقتحم بغداد جماعة من الخراسانيين النواصب وقتلوا كل من وجدوه من الرافضة وكانوا يصيحون: «الله أكبر»!
- سنة ٣٦١هـ هجم المخالفون على الشيعة وأحرقوا دورهم في منطقة الكرخ ببغداد وقالوا: «الشرّ كلّه منكم»!

- سنة ٣٦٢هـ تكرر الحادث السابق تماما.
- سنة ٣٦٣هـ تم إعلان الحرب على الشيعة من قبل مخالفيهم عندما أعاد هؤلاء تمثيل معركة الجمل! قال ابن الأثير: «وقعت فتنة عظيمة بين السنّة والشيعة. وحمل أهل سوق الطعام وهم من السنّة امرأة على الجمل، وسمّوها عائشة، وسمّى بعضهم نفسه طلحة، وبعضهم الزبير، وقاتلوا الفرقة الأُخرى، وجعلوا يقولون: نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب»!
- سنة ٣٦٣هـ تم إحراق منطقة الكرخ الشيعية ببغداد مرة أخرى فأدى ذلك إلى سقوط الكثير من الأرواح الشيعية البريئة.
- سنة ٣٦٤هـ قام ابن بقية المعروف بابن أبي عقيل وهو رئيس الشرطة بقتل طائفة من الشيعة.
- سنة ٣٧٥هـ تكرر إعلان الحرب على الشيعة بإعادة تمثيل معركة الجمل مرة أخرى! وأدى ذلك إلى سفك دماء كثيرة.
- سنة ٣٨١هـ تم قتل العديد من الشيعة في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو يوم عيد الغدير عند الشيعة.

- سنة ٣٩٨هـ تكرر الهجوم على الشيعة في بغداد من قبل المخالفين يساندهم عميد الجيوش بأمر من «الخليفة» وتم إحراق بيوت الشيعة وسفك دمائهم.
- سنة ٤٠٦هـ يوم الثلاثاء أول أيام شهر محرم الذي يعتبر شهر الحزن والحداد عند الشيعة بسبب وقوع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فيه، قام المخالفون بالهجوم على الشيعة وسفكوا دماءً كثيرةً منهم.
- سنة ٤٠٨هـ سنة سوداء شهدت حملة إبادة جماعية للشيعة بعد أمر «الخليفة» بحظر حلقات الدرس لأهل البدع، ويقصد بهم الرافضة.

ولم تكن هذه المذابح البشعة مقتصرة على بغداد أو العراق، بل كانت في ذلك الزمان تقع في أقطار متعددة، منها:

- سنة ٤٠٧هـ وقعت مجزرة بحق الشيعة في تونس وامتدت لكل بلاد شمال أفريقيا. وذكر ابن الأثير أن في هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد إفريقية. ووقعت مجزرة بحق الشيعة في مصر والسودان، وكانت صيحة النواصب إذا أرادوا قتل الشيعة هي: معاوية خال علي!

وامتدت الحملة إلى الشرق حيث قُتل التجار والمسافرون الشيعة القمّيون في أصفهان.

هذه المذابح المروعة كانت تقع في نفس الفترة الزمنية التي عاشها الشيخ المفيد رحمه الله، وقد كان آنذاك الزعيم الديني الأكبر للشيعة. ورغم أن هذه الحملات العدائية قد طالته شخصيا حين هجم المخالفون عليه في مسجده سنة ٣٩٨هـ وبعث «الخليفة» بعميد الجيوش لينفيه من بغداد؛[١] إلا أن الشيخ المفيد لم يتراجع عن مواقفه الرافضية وحقه في إبداء النقد والتنديد بأبي بكر وعمر وعائشة، فكان في تلك الأجواء الملتهبة يذكر الإجماع على كفر عمر بن الخطاب[٢] وينفي إيمان أبي بكر وعمر[٣] ويؤكد أن أبا بكر وعمر وعثمان مجرد «أصفار»[٤] وأما طلحة والزبير فقد قال فيهما أنهما «قُتلا وهما مصممان على الحرب مقيمان على الفسق»[٥]

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص٣٣٨

(٢) الفصول المختارة للسيد المرتضى ص٢٧

(٣) المصدر نفسه ص٣٤

(٤) الإفصاح للمفيد ص١٣٩

(٥) الكافئة للمفيد ص٤٤

وأما عائشة فقد أكد أنها منافقة وأنه لم تعد تربطها بالنبي صلى الله عليه وآله أية علاقة.[١]

هذا الصمود البطولي الذي أبداه الشيخ المفيد وإصراره على العمل الإيجابي المتمثل بالاستمرار في إدانة رموز النفاق وتقديم البراهين على سقوطهم؛ هو الذي أدّى إلى حفظ الوجود الشيعي في بغداد والعراق رغم كل حملات الإبادة والتطهير الطائفي، فقد كان الشيعة في أيام الشيخ المفيد يكسبون المزيد من الناس الذين يعلنون تشيعهم، وبذلك كانوا يعوضون الخسارة البشرية في كل سنة.

أما الوجود الشيعي في تونس مثلاً فقد انتهى، ولم يرجع إلا في هذا العصر، وذلك لأن تونس في ذلك القرن لم يكن فيها مثل الشيخ المفيد.

لذلك فإني شخصيا أحرص على القيام بمثل الدور الذي قام به الشيخ المفيد، وهذا ما أوصي به الشيعة في هذا العصر الذي يشهد تصاعد وتيرة العداء ضدهم مع المذابح والمجازر

---

(١) المسائل العكبرية للمفيد ص٧٥

والاضطهادات، فأقول لهم بكل وضوح: لا تفزعوا.. اعملوا كما عمل الشيخ المفيد!

س٥: خصوم الشيخ ومعارضوه يجادلون بأنه ألغى ممارسة التقية. كيف يرد الشيخ على هذا الاتهام؟ وما هو فهمه للتقية؟ وما هي مصادر فهمه؟

ج٥: الذين يخاصموننا بدعوى أننا نلغي التقية هم في الأغلب من الضعفاء في الفقه والمتأثرين بالبروباجندا التي يمارسها النظام الإيراني الحالي ضدنا لكوننا لا نعترف بشرعيته.

نحن لا نلغي «التقية الشرعية» وليس لنا أي تحفظ عليها، وهي التي تعني أن يحمي الإنسان نفسه من القتل أو الضرر الذي لا يمكن تحمّله فيتظاهر بما هو خلاف اعتقاده، مع عدم ترتّب أي أثر سلبي على العقيدة من هذا التظاهر.

نحن ضد «التقية المغلوطة» التي تعني التظاهر بخلاف الاعتقاد مع انعدام أي سبب حقيقي لذلك، كأن لا يوجد خطر على النفس كما لا يوجد أي ضرر جدي أو عظيم. هذا النوع من التقية ليس شرعيا، بل ليس تقية أصلا لأن من الواضح أنه مجرد نفاق، فأي حاجة لأن يكذب الإنسان

ويتظاهر بخلاف اعتقاده مع أنه لا يوجد أي خطر يتعرض إليه؟

إن الأزمة التي نعيشها في العالم الشيعي هي هذه، أن الكثيرين يمارسون «التقية المغلوطة» فيتظاهرون بخلاف ما يعتقدون بلا أي سبب سوى الرغبة في إرضاء المخالفين وتملّقهم، والمثير للسخرية أن المخالفين أنفسهم رغم كل تلك المحاولات لم يرضوا عن الشيعة حتى الآن، بل ازدادوا بسبب هذه «التقية المغلوطة» كرها للشيعة وشكا في نواياهم! لأنهم أدركوا تمامًا أن هؤلاء الشيعة يتظاهرون بما يخالف عقيدتهم الأصلية الموجودة في الكتب والمصادر التي أصبحت متاحة للجميع، وأنهم في الواقع يمارسون النفاق والكذب! ومن المعلوم أن الإنسان بطبعه يكره المنافقين والكذابين ويرتاب فيهم.

إن أي شيعي من هؤلاء الذين يعملون بـ «التقية المغلوطة» إذا سألته عن الدليل الأصلي على جواز التقية فسيجيبك قائلاً: لقد نزل القرآن بتجويز ذلك في قصة عمار بن ياسر عندما تظاهر بالإقرار بآلهة الكفار. والغريب

أن هذا الشيعي نفسه لا يلتفت إلى أن عمارًا كان حينئذ تحت التعذيب ولذلك جاز له استعمال «التقية الشرعية»، فهل هذا الشيعي الآن تحت التعذيب حتى يجوز له مثل ذلك؟!

إن هذا التساهل في التقية هو الذي نرفضه، والذي يحوّلها إلى نوع من النفاق والخداع، حين يُعمل بالتقية في غير مواضعها الشرعية المسموح بها، مع أن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن للتقية مواضع من أزالها عن مواضعها لم تستقم له».[١]

ولقد حذرنا الإمام الصادق (عليه السلام) بشكل واضح من التمادي في التقية، وأقسم بأنها ستصبح مرضًا من أمراض بعض الشيعة إلى حد أنهم سيخذلون الإمام المهدي عليه السلام حين يظهر بحجة أنهم يريدون العمل بالتقية! ولقد سمّى الإمام الصادق عليه السلام هذا الصنف من الشيعة بأنهم: «أهل النفاق»، مما يؤكد بشكل قاطع ما نقوله من أن هذا الذي يقومون به ليس (تقية) بل هو (نفاق).

---

(١) الكافي ج ٢ ص١٦٨

قال الإمام الصادق عليه السلام كما يرويه شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله: «وأيْمُ الله لو دُعيتم لتنصرونا لقلتم: لا نفعل! إنما نتَّقي! ولكانت التقية أحبَّ إليكم من آبائكم وأمهاتكم! ولو قد قام القائم ما احتاج إلى مساءلتكم عن ذلك ولأقام في كثيرٍ منكم من أهل النفاق حدَّ الله».[١]

كما اشترط الإمام الصادق عليه السلام على الذين يتعرضون للخطر ويريدون العمل بالتقية الشرعية لحماية أنفسهم أن لا يترتب على ذلك أثر سلبي على الدين نفسه، وإلا ففي هذه الحالة فعلى الإنسان أن يضحي بنفسه حتى لو بلغ الأمر حد القتل فيفوز بالشهادة، لأن أهمية المحافظة على حياة الدين وسلامته أكبر من أهمية المحافظة على حياة الشخص وسلامته، ولذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام أن التقية جائزة فقط «بما لا يؤدي إلى الفساد في الدين».[٢]

وقد ضرب الفقهاء مثلاً لهذه الحالة بأن تكون هناك شخصية كبيرة يقتدي بها عموم الشيعة كالمرجع، فهذه الشخصية لا يجوز لها التظاهر بخلاف الحق أو الإفتاء به

(١) التهذيب ج ٦ ص١٧٢

(٢) الكافي ج ٢ ص١٦٨

حتى لو تم تهديدها بالقتل وقُتلت فعلًا، ذلك لأنها إذا عملت بالتقية هنا فإن ذلك سيؤدي إلى الفساد إلى الدين، حيث يمكن أن تلتبس الأمور على الإنسان الشيعي ويظن أن ما تظاهرت به هذه الشخصية الكبيرة أو أفتت به هو الحق.

يقول المرجع الخوئي: «إذا كانت المفسدة المترتبة على فعل التقية أعظم من المفسدة المترتبة على تركها، أو كانت المصلحة في ترك التقية أعظم من المصلحة المترتبة على فعلها، كما إذا علم بأنه إن عمل بالتقية ترتب عليه اضمحلال الحق واندراس الدين الحنيف وظهور الباطل وترويج الجبت والطاغوت، وإذا ترك التقية ترتب عليه قتله فقط، أو قتله مع جماعة آخرين، فلا إشكال حينئذ في أن الواجب ترك العمل بالتقية وتوطين النفس للقتل لأن المفسدة الناشئة عن التقية أعظم وأشدُّ من مفسدة قتله. ولعله من هنا أقدم الحسين عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم لقتال يزيد بن معاوية، وعرّضوا أنفسهم للشهادة وتركوا التقية من يزيد، وكذا أصحاب أمير المؤمنين عليه

السلام بل بعض علمائنا الأبرار قدس الله أرواحهم وجزاهم عن الإسلام خيراً».[١]

كما ترى حسب كلام الفقهاء؛ فإن التقية تكون في هذه الحالة حرامًا حتى ولو بلغ الخطر حد القتل، فكيف لو لم يكن وجودٌ لخطر القتل أو التعذيب أو الضرر أصلًا؟ لا شك أن التقية في مثل هذه الحالة حرام بشكل مؤكد. وهذا هو ما نجتهد لتوعية المجتمع به.

نحن نرى اليوم أن هناك تساهلًا واضحًا في استخدام التقية من هؤلاء، فهم يستخدمونها لمجرد التملُّق أو إرضاء الآخرين، الأمر الذي سبَّب فسادًا دينيًّا كبيرًا، فهناك من أبناء الشيعة أنفسهم مَن يعتقد باعتقادات باطلة أو منحرفة مستنسخة من المخالفين، وخاصة في ما يتعلق برموز أهل الخلاف، فهناك من الشيعة مَن لا يعرف شيئًا عن طغيانهم وفسادهم ولا يعرف ضرورة البراءة الشرعية منهم. لقد وقع كل هذا الفساد بسبب استعمال «التقية المغلوطة» أي التقية الحرام التي حذَّر منها الأئمة عليهم السلام، فعندما يرى الإنسان الشيعي رجل دين كبيرًا مثلًا

---

(١) التنقيح ج ٤ ص٢٥٦

يترحَّمُ أو يثني على أبي بكر وعمر وعائشة؛ فإنه يلتبس عليه الأمر ويظن أن هذا الذي قاله هو الحق، وأن هؤلاء أناسٌ صالحون وإن كانت هنالك بعض المؤاخذات عليهم!

لقد تم تحريف عقيدة الشيعة والعبث في دينهم بسبب هذه «التقية المغلوطة» وبفعل هؤلاء المتملقين الجبناء الذين أعلنا إدانتهم، وهم في معظمهم يدينون بالولاء للنظام الإيراني الحالي. وأصررنا من جانبنا على مقاومة فسادهم بإظهار الحقائق المتعلقة بأبي بكر وعمر وعائشة وأشباههم من المنافقين والطغاة؛ مهما بلغ الأمر، فالتقية عندنا حرام عندما يتعرض الدين للخطر أو الفساد.

والمثير للسخرية أن هؤلاء المدانين يحاولون الدفاع عن أنفسهم بمحاربتنا بدعوى أننا دعونا لتحريم التقية وأن هذا يعتبر ردًّا على الأئمة وشذوذًا عن منهج العلماء؛ مع أن قولنا لا يختلف عن قول إمامهم خميني! إذ يقول حرفيا: «ليعلم السادة أصحاب السماحة بأن الأخطار تهدد أصول الإسلام، وإن القرآن والمذهب في خطر، وفي مثل هذه الحالة

تعد التقية حرامًا، وإظهار الحقائق واجب ولو بلغ ما بلغ» أي من الأرواح والدماء.[١]

نعم؛ ما نختلف فيه مع خميني هو أننا لم ندعُ أبدًا إلى التضيحة بالأرواح وترك التقية من أجل شأن سياسي يتمثل بإسقاط حكومة من الحكومات، وإنما دعونا لذلك من أجل الإيمان والعقيدة والمحافظة الحقيقية على الإسلام والتشيع من الضياع، فنحن لا يهمنا الشأن السياسي بمقدار ما يهمنا الشأن العقدي، ولا نطمح للوصول إلى السلطة بالطرق الملتوية التي يسلكها الآخرون، ونرى أن الأرواح أغلى من أن تكون ثمنًا لمجرد الوصول إلى السلطة، نعم هي تصبح رخيصة إذا كانت ثمنًا للمحافظة على الإيمان وحرية العقيدة.

أما خميني فلقد خدع الناس وضخّم من أمر صراعه السياسي مع الشاه، وصوّر الأمر على أنه صراعٌ بين إسلام وكفر! وأن أصول الإسلام والقرآن والمذهب في خطر لمجرد بقاء الشاه على رأس السلطة! فصرخ من أجل الوصول إلى مآربه بتحريم التقية، وحينما وصل إلى السلطة رأى الناس

(١) صحيفة النور ج ١ ص١٨٣

جميعًا كيف أنه لم يختلف في سياسته عن السياسة القمعية التي كان يعمل بها الشاه، ولم يختلف عنه في منهجه المنحرف. الفرق فقط هو أن خميني كان على رأسه عمامة ويتكلم باسم الإسلام والقرآن، أما الشاه فكان على رأسه تاج ويتكلم باسم الديموقراطية والتحضُّر!

س٦: لقد تلقى الشيخ الكثير من الانتقادات والهجمات من السنة، ولكنه تلقى أكثر من هذه الانتقادات من غيره من الشيعة الذين يجادلون بأن تصريحاته تضرُّ بهم؟ كيف يرد على العداء الشديد الذي تلقاه هو وأتباعه من الشيعة الآخرين على وجه الخصوص؟

ج٦: كلمة الحق والإصلاح تكون مفزعة بادئ ذي بدء، ولذلك أستوعب فزعهم، وآمل بعدما تهدأ هذه الفزعة أن يعود إليهم صوابهم فينظرون للأمر بتوازن. أخالهم سيعرفون في خاتمة المطاف أن هذا الفزع هو ما يقودهم إلى تضخيم الأمور وتوهم أن هناك ضررًا يمكن أن يصيب الشيعة أو المسلمين من تصريحاتي. في الواقع ليس هناك أي ضرر، وحتى لو وُجد فإنه لن يعدو كونه من قبيل (الأضرار الجانبية) التي سرعان ما تزول بعد عملية العلاج.

عملنا ليس فيه ضرر بل نفع ولكن على المدى الطويل، فإني أعتقد بقوة أن الوضع الإسلامي عمومًا والوضع الشيعي خصوصًا يحتاج إلى علاج جذري، علاج في العقيدة والفكر والسلوك، وهذا ما أقوم به، وأعتبر أن أي تراجع عن ذلك

خوفًا من الفزع والصيحات أو حتى (الأضرار الجانبية) هو بمثابة خيانة للإسلام والإنسانية.

أما خيانة للإسلام، فلأن الله أمرنا بأن نبلغ دينه الحقيقي لا المزيف، وأن نحمي الناس من الدخول في النار. ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله تنبأ بأن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. يعني هذا أن فرقةً واحدةً فقط من فرق المسلمين هي التي تحمل عقيدة صحيحة تؤهلها لأن تنجو وتدخل الجنة، وواجبنا هو أن نبحث عن هذه الفرقة ونرشد إليها. نحن قد بحثنا فوجدنا أن هذه الفرقة هي الشيعة الإمامية الرافضية، ومن الطبيعي أننا حينما نرشد الناس إليها يتطلب ذلك إبطال بقية الفرق وبيان أنها على ضلال. هذا الأمر يسبب بعض الاحتقان لأن أصحاب تلك الفرق لا يسكتون، إلا أن علينا المضي قدمًا ولا نبالي لأن المهم هو حماية الناس من دخول النار وإرشادهم إلى الجنة. أما الصارخون فسيتروَّضون مع مرور الوقت ويزول الاحتقان إثر ذلك، وهذا ما بدأنا نلمسه فعليًّا في هذه السنوات الأخيرة.

وأما الخيانة للإنسانية فإن كل عاقل اليوم يعلم مثلًا أن هناك مشكلة جذرية في المسلمين، إحدى مظاهرها هي نمو وتفشي الإرهاب والإجرام باسم الدين. في نظري أننا إذا لم نقم بعملية علاج جذرية جريئة للمعتقدات والأفكار والسلوكيات التي يقوم عليها الإرهاب فلن يتم القضاء عليه بتاتًا. هذا ما نقوم به نحن، إننا نقتلع المعتقَد الذي تتأسس عليه النزعات الإرهابية من جذوره التي تتمثل باحترام أبي بكر وعمر وعائشة. إن هذا الاحترام هو من أهم أسباب الإرهاب، بل هو السبب الرئيسي في الواقع، لأن من يحترم هذه الشخصيات يقتدي بمنهجها ويراه أنه من الدين. وقد قرأ العالم بيانات (داعش) التي قالت فيها بوضوح أن قيامها بحرق الناس أحياءً هو أمر شرعي يستند إلى قيام أبي بكر بذلك! فلو كان من سبقنا من المسلمين بذلوا جهودا مضنية في إسقاط قداسة أبي بكر ونزع احترامه من النفوس؛ لما نشأت جماعة متطرفة تقتدي به في الإجرام وتحسب أنه من الدين! نحن ندفع اليوم ثمن تقاعسنا بالأمس.

أضف إلى ذلك أن من أهم عوامل بقاء «التطرف الإسلامي» هو تفسير النصوص المقدسة التي جاءت في القرآن والسنة، فهؤلاء المتطرفون يفسِّرونها بالنحو الذي يبرر الإرهاب أو يكوِّن البيئة المتطرفة. المشكلة هي أن العلاجات الموجودة اليوم لهذا الشيء الخطير هي علاجات سطحية، تكتفي بالقول أن تفسير هؤلاء المتطرفين غير صحيح، وأن الدين الأصيل ليس فيه تطرف ولا إرهاب ولا إجرام. إلا أن هذا الكلام لا يبدو مقنعًا لمن يتديَّن فعلًا من المخالفين، لأن جميعهم - بمن فيهم الذين ينبذون التطرف بزعمهم - يرجعون في تفسير القرآن ونقل السنة إلى أبي بكر وعمر وعائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك وأشباههم، ويعبِّرون عنهم بأنهم من أئمة الدين الذين يجب أخذ الدين ونصوصه وتفسيراته منهم. حينئذ يقع التناقض عند شخصية المتديِّن المخالف بين ما يقوله هؤلاء المشايخ (العصريون الموديرن) وبين (أئمة الدين والسلف الصالح)، يقع التناقض لأنه يجد مثلًا أن أولئك السلف قد فسَّروا القرآن بتفسيرات تبرِّر الإرهاب، ونقلوا عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث صريحة في القتل والإجرام، ولا يمكن

تكذيبهم لأنهم باعتراف الجميع ثقات وعدول وأئمة يؤخذ منهم الدين. بعد ذلك يحسم هذا المتديِّن الأمر ويتخذ قراره بالانضمام لداعش أو القاعدة أو بوكو حرام وغيرها من التنظيمات الإرهابية لأنه يجدها أكثر صدقًا في التزام صميم الدين وأقرب إلى سيرة (السلف الصالح) الذين يجسِّدون الدين، إلا أن يخدع هذا المتديِّن نفسه ويبقى يعيش التناقض. والإنسان بطبعه لا يريد أن يعيش متناقضًا.

ما يميزنا عن الآخرين هو هذا؛ أننا لا نعالج الأمر معالجة سطحية، بل نعالجه معالجة جذرية. نقول للناس بكل شجاعة: ارفضوا أبا بكر وعمر وعائشة والبقية، هؤلاء ليسوا رموزًا مقدسة، بل هؤلاء رموز للطغيان والنفاق والإجرام، هؤلاء هم الكذابون الذين حرَّفوا هذا الدين وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تحترموهم ولا تأخذوا منهم الدين! بل خذوه من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وما أقبح قول الذين يقولون: علينا أن نتوقف عن هذه المساعي الحميدة لأن هناك من يصيحون معترضين أو من

يتضررون! هل مجرد الصياح والاعتراض يجعلنا نخاف من قول الحقيقة؟! وهؤلاء الذين يقولون أنهم يتضررون؛ ألم يسألوا أنفسهم: أيهما أعظم ضررًا؛ تحمُّل الأضرار المؤقتة بسبب قول الحق في أصل الإرهاب أم إبقاء الأضرار الدائمة بسبب عدم اقتلاع جذوره؟!

إن السكوت عن كشف أصل الإرهاب وأنه جاء من أبي بكر وعمر وعائشة هو في الواقع أكبر ضرر، لأننا بذلك نبقي باب الإرهاب مفتوحًا في كل زمان فتتجدد الأضرار مهما حاولنا لأجل تطويقها مؤقتا.

س٧: هل للشيخ أي آراء حول دور الشيعة في الغرب؟ ما هو دورهم في نشر الإسلام الشيعي والتعبير عنه؟ هل توفر الحياة في الغرب مزايا للتبليغ الشيعي على عكس الأنماط المختلفة في العالم الإسلامي؟

ج٧: إن الذي أوصي به أتباعنا هو أن ما يوفِّره الغرب من ضمانات لكم ينبغي أن يقابَل منكم بالتزامات، منها أن لا تعتبروا بلدانكم الغربية مجرد أوطان مؤقتة، بل أن تعتبروها أوطانًا دائمةً، لها منكم الولاء والإخلاص، وأن تهبُّوا للدفاع عنها متى ما وقع عليها اعتداء حتى لو كان من الذين يشاركونكم في الدين، لأن دينكم نفسه يحرِّم الاعتداء، والمعتدي خارجٌ عن تعاليمه.

أما مسألة الهوية، فإني لطالما دعوتُ المؤمنين إلى أن يلتزموا بهويتهم وثقافتهم الدينية لكن بشكل لا يمنع الاندماج مع المجتمع وتشكيل الهوية الوطنية الموحدة. هنا في بريطانيا مثلًا؛ عليك أن تلتزم بالقيم والتقاليد البريطانية العريقة، جنبًا إلى جنب مع التزامك بالقيم والتقاليد الإسلامية الرافضية. وشخصيًّا؛ لستُ أرى أن هناك

تناقضًا بين الالتزاميْن، بل أرى أن كثيرًا من القيم والتقاليد البريطانية العريقة تتمشَّىٰ تمامًا مع القيم والتقاليد الإسلامية الرافضية وإن كانت تبدو متناقضة في نظر غير المتخصصين من الجانبين؛ المسلم وغير المسلم، ممن ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية.

وفي رأيي أنه إذا بقي الغرب وفيًّا لمبادئه في حماية الحرية الإنسانية والحق في الرأي والتعبير ولم يرتبك بسبب وقوع بعض الآثار الجانبية غير المريحة ولم يتراجع بضغطٍ من المصالح التجارية الجشعة؛ فإن الغرب سيظل هو المكان الأكثر ملائمةً لأن يواصل منه أحرار الشيعة نشر رسالتهم الإصلاحية السامية، فإن الشيعة لا يريدون شيئًا سوى حرية التعبير.

إن حماية ودعم الحرية كمبدأ إنساني عظيم لا يعني أنه لن تكون هناك بعض الآثار الجانبية غير المرغوب بها، فهناك بلا شك بعض الآثار التي لا نريدها، فأجواء الحرية قد تؤدي مثلًا إلى أن يستغلها المتطرفون وينشروا ثقافةً تساعد على تغذية الإرهاب، ولكن الحل لا يكون

بالتراجع عن الالتزام بضمان الحرية الإنسانية وفرض القيود على حرية التعبير وكأننا نعود من جديد إلى القرون الوسطى! بل الحل يكون بدعم الحرية أكثر وأكثر مع التصدي العقابي الجاد والجريء لكل من يتجاوز خط الحرية إلى خط العنف أو الإرهاب.

إننا مثلًا نعلم جميعًا أن من أكثر ما تستغله (داعش) في غسل أدمغة الشباب المراهقين وتجنيدهم وتنفيذ العمليات الإرهابية هو الإنترنت، بل لولا الإنترنت لما وُلِدَت داعش واتسعت بهذا النطاق، فهل يكون الحل بإلغاء الإنترنت أو منع الحرية في استخدامه أو فرض رقابة مسبقة على ما ينشر فيه؟! إن الذين يدعون اليوم إلى مراجعة الالتزام الغربي بمبدأ حرية التعبير هم كمن يدعو إلى ذلك!

أعلم أن هناك إشكالية كبرى مطروحة اليوم عن العلاقة بين حرية التعبير وحرية الاعتقاد، ورؤيتي حول هذا الأمر هي أن إعادة رسم العلاقة بين (حرية الاعتقاد) و(حرية الانتقاد) لا ينبغي بحال من الأحوال أن تتجه إلى تقييد أيٍّ

منهما بداعي الخوف مما وقع من أحداث إرهابية في العصر الراهن.

صحيحٌ أن هذه الأحداث فرضت البحث عن أسبابها والحلول الممكنة لتلافي وقوعها، إلا أن الملاحَظ اتجاه معظم مخرَجات هذه النقاشات والأبحاث نحو فرض قيود إما على حرية الانتقاد والتعبير أو على حرية الاعتقاد والتمسك بالدين وذلك تحت ضغط الخوف من تجدد وقوع الأحداث الإرهابية أو الصدامات الاجتماعية.

إن الخوف إذا سيطر على المفكرين وصانعي القرار فإنه قد يقود إلى خطيئة بحق مستقبل البشرية، حين تُتّخَذ قرارات متسرعة أو تُشرَّع قوانين تُرجعنا إلى الوراء، أو حتى حين تُطلَق تصريحات غير رشيدة يمكن أن تعطي المبرر الأخلاقي لارتكاب العنف، كقول البابا فرانسيس أن لكل دين كرامته وأنه لا تجوز إهانته أو استفزاز أتباعه بالاستهزاء منه وإلا كنتَ كمن يسيء إلى والدة شخص آخر وعليك في هذه الحال أن تتوقع لكمة!

هذا الطرح تماثله الأطروحات التي يحاول أصحابها أن يوجدوا خطًّا وسطًا بين حرية التعبير وجرائم الكراهية الدينية بالقول أن من المتاح لك أن تنتقد الأديان والمعتقدات وتسخر منها كما تشاء، ولكن حدود ذلك تقف عند ما يمكن أن يتطوَّر إلى ردود أفعال عنفية، فإذا وجدتَ أن كلمتك الانتقادية يمكن أن تسبّب حنقًا شديدًا لدى أتباع دين ما فيتطور الأمر إلى العنف فإن حريتك في التعبير تقف هنا وعليك أن لا توجه كلمتك الانتقادية تلك، وإلا تم تجريمك حسب قانون الكراهية الدينية!

كأن هؤلاء الذين يتبنَّوْن هذا الطرح يقولون لأتباع الأديان: إذا أردتم أن لا تُمَسَّ أديانكم بكلمة فعليكم دائمًا بأن تُظهروا أقصى درجات الحنق والغيظ وتلجأوا إلى التهديد بالعنف فحينئذ تكونون أنتم الضحية ويكون الذي مارس حريته في التعبير هو الجاني لأنه لم يقدِّر العواقب وكان عليه أن يتوقف عن الانتقاد!

هكذا يشجُّع هؤلاء العنف. والغريب أن بعضًا من القانونيين والسياسيين يتبنَّوْن هذا الطرح اللامنطقي الغريب.

في المقابل هنالك دعوات للتدخل في المبادئ الدينية والضغط على رجال الدين للقيام بما يسمى «إصلاحًا وتنويرًا دينيًّا» لتجريد الدين مما يمكن أن يتصادم مع حرية التعبير وما يمكن أن يؤدي إلى العنف أو الجريمة أو ما لا يتمشَّى مع مبادئ العالم المتحضر. هذه الدعوات فاشلة أيضًا، لا لأنها لم تلقَ آذانًا صاغية عند رجال الدين فهناك الكثير منهم قد تجاوبوا معها؛ بل لأنها في النهاية تقفز على حقائق موجودة بوضوح في التراث الديني، مما يجعل ما يطرحه رجال الدين المتجاوبون معها غير مقنع للأتباع، وهو أشبه بعملية مسخ أو تهجين.

وفي وسط هذه الفوضى تبرز ملاحظتان إضافيتان، أولاهما أن كثيرًا من الأطروحات قاصرة عن إدراك جوهر الأزمة لأنها لم تلتفت إلى عامل التطور الفكري الإنساني وظروف المرحلة الزمنية. وثانيهما وجود سوء فهم والتباس

حضاري يؤدي إلى حساسية مفرطة ما بين الطرف المتمسك بدينه والطرف المتمسك بحرية التعبير.

تأسيسًا على ذلك فإن الذي نراه كخطوط عريضة للمعالجة والحل وإيجاد التوازن المطلوب هو الآتي:

أولا؛ الإيمان بأن العالم يعيش مخاضًا حضاريًّا يتدافع فيه (الدين) مع (حرية التعبير)، وليس علينا أن نقيِّد أيًّا منهما وإنما علينا أن ننتظر حتى تتشكّل أُطر كلٍّ منهما تلقائيًّا بسبب هذا التدافع الحضاري. ثم يجب أن لا نجعل هذه الأُطر ثابتة أو نصوغها في قوانين، فهي متغيِّرة مع تغيِّر المراحل الزمنية وتطوِّر الفكر البشري، وما قد لا يكون لائقًا اليوم قد يكون لائقًا غدًا، والعكس بالعكس.

سيضطر المتديّنون في كل مرحلة لترويض أنفسهم والتكيِّف مع الواقع بأنفسهم، كما سيضطر غيرهم لفعل الشيء ذاته حين يمارسون حقهم في الانتقاد وحرية الرأي والتعبير.

الواقع هو ما يفرض نفسه في كل الحالات، أما التدخل لتشكيل هذا الواقع فهو يأتي بنتيجة عكسية، كما رأيناه من

انضمام كثيرٍ من شباب المسلمين الأوروبيين إلى تنظيم داعش الإرهابي بسبب إحساسهم بأن هنالك تدخلًا في حياتهم الدينية وقيودًا تُفرَض عليهم بالقوة، كمنع الحجاب في المؤسسات التعليمية في فرنسا مثلًا. يجعل هذا بعض المسلمين يشعرون بالظلم وعدم مراعاة الخصوصية الدينية، ويتحوَّل هذا الشعور مع مرور الوقت إلى نقمة على الدولة والمجتمع يندفع بها البعض إلى أقصى حالات التطرف.

وكذلك ما نراه من صعود اليمين المتطرف في أوروبا بسبب إحساس الناس بتكميم الأفواه، فحين تُفرِط بعض الحكومات في تقييد رموز اليمين المتطرف وتمنعهم من التعبير وحتى من دخول البلاد - كما حدث مع غيرت فيلدرز حين مُنع من دخول بريطانيا سنة ٢٠٠٩ - فإن هذا يجعل كثيرين يشعرون بأن الحكومات بدأت أمام ضغط المسلمين تتخلى عن أهم مكاسب أوروبا وهي (الحرية)، مما يجعلهم يندفعون أكثر إلى التعاطف مع رموز اليمين المتطرف.

ثانيا؛ لا يعني ذلك أن علينا أن نقف مكتوفي الأيدي تجاه أي تطور غير محمود في هذا التدافع ما بين (الدين) و(حرية التعبير)، أو أن نصبح لا مبالين تجاه ما يمكن أن يشكِّل أركان الجريمة، فهنا تتدخل قوة القانون وقوة النظام. فعلى سبيل المثال، يمكن أن نتيح للمسلم في إطار (الحرية الدينية) أن لا يتنكَّر لتراثه الديني الذي جاءت فيه بعض النصوص التي تجرّم من يهين النبي محمَّدًا صلى الله عليه وآله وتجعل عقوبة ذلك الإعدام، لكن هذا المسلم عليه وهو يتكلم عن ذلك أن يؤكد أنه يتكلم عنه نظريًّا فقط باعتبار موجودية ذلك في التراث الديني، أما إذا تجاوز ذلك عمليًّا بأن دعا إلى تطبيق هذه العقوبة الدينية فذلك ما لا يمكن التسامح معه بأي حال من الأحوال.

كذلك يمكن أن نتيح لغير المسلم في إطار (حرية التعبير) أن يعبِّر مثلًا عن كون الإسلام دينًا إرهابيًّا، لكن عليه وهو يتكلم عن ذلك أن يؤكد أنه يتكلم عنه نظريًّا فقط، أما إذا تجاوز ذلك عمليًّا بأن دعا إلى التعامل مع كل مسلم على أنه إرهابي يستحق الطرد والإبعاد من أوروبا لكونه يحمل هذه الديانة، أو أن يدعو إلى اعتبار المسلم

بالأصل إرهابيًّا حتى يثبت العكس؛ فذلك ما لا يمكن التسامح معه بأي حال من الأحوال.

ثالثا؛ يجب تشجيع المناظرات والمناقشات والدفع بها قُدُمًا مهما بلغت ضراوتها، فإنها تساعد على إزالة الحساسية من مصادمات (المقدس الديني) مع (مقدس الحرية)، كما تسهم في تبديد الالتباسات وتجديد الفهم والنظر. فمثلًا، إذا تمت مناقشة حوادث الإرهاب بشكل جِدِّي فسيُكتشَف أن أكثرها لا يعود في الحقيقة إلى الدافع الديني المجرَّد، بل إلى دوافع سياسية واجتماعية فرضتها الحروب والسياسات والأوضاع الاقتصادية، تم إكسابها ثوبًا دينيًّا لكي يكون المندفِع أكثر اندفاعًا ليس إلا، لأنه في هذه الحالة يندفع دينيًّا وهو مشتاق إلى الجنة.

كذلك إذا تمت مناقشة جدِّيةٌ للنصوص الدينية الإسلامية التي تعطي المبرر للعنف والتنكيل فسيُكتشَف أن هنالك كثيرًا منها مكذوب على النبي محمَّدٍ صلى الله عليه وآله من قبل بعض أصحابه وزوجاته، كأبي بكر وعمر وعائشة وأنس بن مالك ممن كانت لهم أدوار سياسية

استدعت منهم اختلاق تلك النصوص التي تحقِّق لهم بعض الأهداف.

هنالك على سبيل المثال شهادة الإمام الصادق عليه السلام الذي هو حفيد ووريث خاتم الأنبياء محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ووصيه الشرعي، والتي يقول فيها أن الأحاديث ذات الصبغة العنفية التنكيلية قد افتُعِلتْ من أنس بن مالك إرضاءً للحكام المستبدين من بني أمية.

كذلك بالمناقشة الجدية البعيدة عن الحساسية والأحكام المسبقة يمكن أن يكتشف المسلمون - على سبيل المثال - أن رسوم مجلة (شارلي إيبدو) الفرنسية لا يمكن أن تدخل في إطار النصوص الدينية التي تجرِّمُ إهانة النبي محمَّدٍ صلى الله عليه وآله، لأنها لم تُرسَم بقصد (الإهانة) بل بقصد (الفكاهة) الجارية بشكل طبيعي في الثقافة الغربية، وإن كنا كمسلمين لا نقبلها ونشمئز منها وندينها كل الإدانة، إلا أن تهويل الأمر إلى حد تأجيج الوضع العام وتهييج المجتمع المسلم ودفع أفراده لارتكاب جرائم؛ هو أمر لا يؤدي إلى شيء سوى جعل الوضع أسوأ وأسوأ، حيث يزداد غير

المسلمين في أوروبا نفورًا من الإسلام وأهله، وتصديقًا لاتسامه وإياهم بصفة الإرهاب وأنها لا تنفك عنهم، ناهيك عن دفع غير المسلمين هؤلاء إلى العناد وتكرار هذه الأفعال المسيئة في نظر المسلمين تذرُّعًا بالدفاع عن حرية التعبير، ثم فرض مزيدٍ من القوانين والقرارات التي تقيِّد حريات المسلمين كما حدث في فرنسا، حتى غدا الإنسان المسلم هناك منتهك الحقوق الدينية والمدنية بصورة ينبغي لفرنسا - التي تتشدَّق بكفالتها للحقوق والحريات - أن تخجل منها ومن عارها الذي تلطِّخ به تاريخها.

رابعا؛ عندما يتعارض الحفاظ على (المبدأ) مع الحفاظ على (المصلحة) فلا بد من التضحية بالأخيرة، لأن التضحية بالمبدأ كُلفَته عالية جدًّا في المستقبل لا على احترامنا لأنفسنا فحسب؛ بل حتى على مصالحنا العامة.

التضحية بالمصلحة الوقتية أمر سهل ومقبول لأنه يمكن تعويضه، أما المبدأ الذي نخسره فلا يمكن تعويضه بسهولة بعد الخراب الذي أحدثه في بنائنا الحضاري

الإنساني، والذي - عادةً - ما تكون له تبعات خطيرة حتى على المصالح العامة.

على سبيل المثال، نحن اليوم ندفع ثمن وقوف أوروبا ممثلة بالإمبراطورية البريطانية آنذاك داعمة لقيام سلطة آل سعود في الجزيرة العربية، في تنكُّرٍ واضحٍ لمبادئ الديموقراطية. لماذا دعمت لندن قيام سلطة رجعية وهابية دموية متخلفة في الجزيرة العربية وضحَّتْ بالمبادئ الديموقراطية ومبادئ العالم الحر؟ السبب هو الحرص على المصلحة المتمثلة في اكتشاف النفط، وسهولة التعامل مع حكومة أسرية ذات قرار فردي بدلًا مع التعامل مع حكومة منتخبة شعبيًّا يمكن أن يعرقل برلمانها الاستفادة من الثروات النفطية بمطالبات التأميم.

بسبب هذا الدعم البريطاني تعاظمت قوة سلطة آل سعود، وتعاظم معها خطر الأصولية الوهابية التي فرَّخَتْ لنا الأصولية الجهادية الإرهابية. ولو أن بريطانيا العظمى التزمت حينذاك بمبادئها ولم تضحِّ بها، واختارت أن تضحِّيَ بمصالحها الوقتية للحفاظ على مبادئها، لكان يمكن نشوء

نظام ديموقراطي معتدل في الجزيرة العربية يمكن أن يحقق مصالح جميع الأطراف بمستوى مقبول، وأهم المصالح هو تجنيب العالم كل هذا الشرور الذي نشأ من إطلاق يد الوهابية السعودية وامتلاكها للثروة والسلطة والقوة، فبسبب ذلك تكوَّنتْ كل هذه الحركات الإرهابية التي نعرفها اليوم، حتى تلك التي في أفغانستان وباكستان، التي كانت تتغذَّى في السبيعينيات على الثقافة الوهابية المصدَّرَة من سلطة آل سعود وأجهزتها الدعوية، وعلى الأموال والدعوم الواردة منها.

الخطأ نفسه وقعت فيه بريطانيا مرة أخرى لكن مع الولايات المتحدة، يوم تحرَّكتا لإسقاط حكومة مصدَّق في إيران، والتي كانت حكومةً منتخبةً شعبيًّا وتتمتع بالنصاب الديموقراطي الكامل، وكان ذنبها الوحيد أنها تسعى لامتلاك الثروات النفطية وإنهاء الاستحواذ البريطاني عليها. تم إسقاط مصدَّق لصالح الشاه، فتزايدت النقمة في صفوف الشعب الإيراني على الشاه ولندن وواشنطن وانتشرت مشاعر العدائية للملكيين والغربيين، حتى استطاع خميني اقتناص ذلك كله بالإعلان عن ثورته التي أطاحت بالملكية

وأسست نظامًا رجعيًّا قمعيًّا مستبدًا ما زال يمثل مصدر خرابٍ أساسيٍّ في العالم. ولو أن لندن وواشنطن التزمتا في الخمسينيات بالمبادئ الديموقراطية وضحَّتا بالمصلحة الوقتية ولم تتشبَّثا بالامتيازات النفطية إلى كل هذا الحد، لكان النظام الذي يحكم إيران إلى اليوم نظامًا ديموقراطيًّا معتدلًا يمكن أن يحقق مصالح جميع الأطراف بمستوى مقبول، وأهم المصالح هو تجنيب العالم كل هذا الشرور الذي نشأ من قيام نظام دموي متعجرف في إيران.

إن من يغرق في المصالح ويتناسى مبادئه سيدفع ثمن ذلك لاحقًا حتى من مصالحه، ولن يكون سهلًا ترميم هذه الخسارات أو معالجة هذه المشاكل التي تتولَّدُ من التضحية بالمبدأ لأجل المصلحة.

لذلك نقول أنه عندما يتعارض الحفاظ على (المبدأ) مع الحفاظ على (المصلحة) فلا بد من التضحية بالمصلحة.

يجب أن ننظر إلى أبعد من أنوفنا، فالمصلحة الوقتية يمكن التضحية بها أما المبدأ فلا، لأنه أعظم المصالح لو كنّا نُحسن النظر بعيدًا. وضمن هذا السياق فإننا لا نملك

إلا أن نعيب الاستمرار بهذه السياسات الفاشلة التي تسمح ببقاء واستقواء أنظمة رجعية تمثل حواضن لفكر يهدد السلام بقدر تهديده للحرية الإنسانية.

إن هذا الدعم الغربي لمثل هذه الأنظمة يخلق دومًا بيئة صراع ملتهبة تنتقص من حرية التعبير والحرية الفكرية باسم الدين وتعود بالمساوئ لا على أوضاعنا في أوروبا فحسب؛ بل على أوضاع العالم أجمع.



أخذت ظاهرة الشيخ ياسر الحبيب تستقطب أساتذة الجامعات في دراساتهم الأكاديمية وتلفت أنظارهم لحركته الفكرية وتأثيره على الأمة الشيعية، وكان من هؤلاء البرفسور أوليڤر شاربروت OLIVER SCHARBRODT أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة تشستر CHESTER الإنجليزية الذي وجَّهَ إلى مكتب سماحته أسئلة حول فكره ومنهجه، وقد تمت الإجابة عنها من قبله شخصيا بعد ترجمتها، حيث أزال الغموض ووضع النقاط على الحروف حول منهج يعتبره البعض الأكثر جدلا وخطورة.

ولما لهذه الأسئلة والأجوبة من أهمية تجعلها بمثابة وثيقة نادرة للتاريخ فقد رأينا توثيقها ونشرها في هذا الكتيب.

والله ولي التوفيق.

